الفصل السابع

أهمية المدخل الاجتماعى فى دراسة التاريخ والتراث العربى وضرورة تحقيقه

الدلالات الموضوعية للمدخل الاجتماعى فى التاريخ والتراث العربى

ربما يكون مجمل اهتمامنا فى كل الصفحات والفصول السابقة من هذا البحث قد تركز حول ضرورة إعادة النظر وتصحيح بعض القضايا والمسائل الأساسية المشوهة فى التاريخ والتراث العربى من جهة ، والكشف عن المغمور والمنسى من جهة أخرى ، فى ضوء رؤية إجتماعية ومنهجية علمية حديثة ومعاصرة ، خصوصاً ما يتعلق منها بذلك الطراز الذى منى بأشد أنواع التحريف والتشويه والإبادة والتنكيل بكل من قال بها فى الماضى أو يقول بها فى الحاضر ، تحت دوافع سياسية واقتصادية وطبقية مختلفة ، وذلك هو بعض ما استهدفناه — جوهرياً — كواحد من الأهداف الرئيسية التى استهدفناها من هذا البحث منذ أول خطوة .

ويبقى علينا فى هذا الفصل الختامى أن نركز على الجوانب المنهجية بصفة خاصة ، بالنسبة لمجمل الأحداث والمسائل التى يحفل بها التاريخ والتراث العربى بصفة عامة بما فى ذلك أعمال المؤرخين والأدباء والمشرعين وكتاب السير والتراجم وغيرهم ، وذلك حتى نتمكن من اختزال الرؤية والمدخل الاجتماعى فى هذه المأثورات الواسعة النطاق من جهة ، والكشف عن تناقضاتها الفكرية والموضوعية المخلة من جهة أخرى ، والتى تورطت أو تورط أصحابها فيها نتيجة الافتقار إلى وجود المدخل الاجتماعى والرؤية المنهجية العلمية الصحيحة ، وكيف صارت نتيجة لذلك مرتعاً للزيف والخلط اللامعقول الذى لا يميز بين الواقعة الحقيقية والأسطورة الخيالية ، والميل إلى الاستسلام للخيال الميتافيزيقى والافتراضات الشخصية أكثر من الاحتكام للواقع

وقوانين تطوره وذلك على نحو ما سنرى من خلال الدلالات الموضوعية والمنهجية الآتية :

أولا : الدلالات النظرية

سوف لن نجد مشقة كبيرة فى البحث عن الدلالات الفكرية والنظرية للرؤية والمدخل الاجتماعى فى التاريخ والتراث العربى ، لأننا قد استوفينا هذه النقطة بتفصيل وتحليل مركز فى الفصول السابقة وشكل ذلك كما سبقت الإشارة واحداً من الأهداف الرئيسية لهذا البحث ابتداء بالكشف عن كل المؤشرات العقلية فى المجتمع اليمنى القديم ، مروراً بالتناقضات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فى المجتمع المكى القديم قبل وبعد الدعوة الإسلامية مباشرة ، وصولا إلى تحليل مختلف الاتجاهات الراديكالية الثورية والعقلية من معتزلة ، وخوارج ،وقرامطة وشيعة ، وغيرهم ، من ذوى الاتجاهات الشعبية والراديكالية العقلانية ، والذين قضى على معظم تراثهم وفكرهم الإنسانى الناضج ووصموا بكل المذمات كما سبق وأن حللنا تفصيلا فى الفصول السابقة .

ثانياً : الدلالات الموضوعية المباشرة

أما الشكل الثانى الأقرب إلى الواقعية والأكثر بروزاً ووضوحاً للمادة الاجتماعية الأنثروبولوجية المدونة فى التراث الشعبى العربى ، بل وما يمكن اعتباره دراسات أنثروبولوجية مباشرة وقائمة بذاتها ، فهو ما يتمثل فى الأعمال الجليلة التى قام بها مجموعة العلماء العرب ممن عرفوا باسم الرحالة أو الجغرافيين أو أدباء الرحلات ، والذين كتب لمعظم أعمالهم الذيوع والانتشار فى زمانهم ، والتشجيع والبقاء بعد زمانهم ، وما يزال معظمها بين أيدينا أشبه بمعين لا ينضب من المعارف الاجتماعية والإنسانية المختلفة ، ولقد كانت هذه الأعمال ولا تزال موضع تنازع وخلاف بين المؤرخين والأدباء والجغرافيين وغيرهم ، كل يفيد منها فى مجاله ويطالب بحق انتمائها إليه ، دون أن يقوى أى طرف على حسم الأمر علمياً لصالحه ، لأنها حقيقة

من طبيعة اجتماعية قبل أى شيء آخر ، وقد حان الوقت للإجتماعيين والأنثروبولوجيين العرب المحدثين أن يؤدوا مسئوليتهم تجاه هذه الأعمال ويحققوا الهوية الاجتماعية الغالبة لهذا الجانب من التراث العربى الذى ظل زمناً طويلا أشبه ما يكون بالأرض المشاع والبيت الذى هجره أهله فتعددت مطالب الآخرين ودعاويهم من بعدهم فى ملكية الأرض والبيت فى غياب أهله إلى جانب استخدام كل منافعه (١) .

صحيح أن هذه الأعمال قد جاءت أشبه ماتكون بالموسوعات الضخمة التى حوت من المعلومات والمعارف الأدبية والتاريخية والسياسية والدينية والجغرافية وغيرها ، والتى جمعوها ووصفوا من خلالها وبها أحوال المجتمعات والشعوب التى طافوا بها ودخلوا إليها لنفس الغرض وتعلموا لغاتها وأقاموا بين أهلها سنين طويلة ، فى بلاد الهند مثلا والصين وأفريقيا وجنوب أوروبا وكل أقاليم الدولة الإسلامية تقريباً ،ولقد سبق لنا الحديث والتقييم المنهجى لهذه الأعمال وماتعانيه من حالتى التشتت والتمزق بين مختلف الاتجاهات والعلوم الأخرى التى سادت وقتها وتسود حتى اليوم بتفاصيل وافيه فى بحث خاص عن التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية (٢) .

ومن هؤلاء الرواد الذين برزوا فى هذا المجال ونكتفى بذكر أسمائهم ونحات بسيطة عن أعمالهم أبو عبدالله محمد بن إبراهيم الطنجى المعروف «بابن بطوطة» المتوفى عام ١٣٧٧ ،ميلادية والذى قام بأسفار دامت أكثر من ثلاثين عاماً ، زار فيها كل أجزاء الوطن العربى وبلاد الهند والصين وجنوب شرق آسيا ، وطوف بأفغانستان وبلاد العجم وهضبة الأناضول . كما زار السودان وبلاد الحبشة وبلدان شرق أفريقيا ،وطاف فى رحلة أخرى ببلاد الأندلس وطنجة وجبل طارق ، ورجع إلى بلدته « فاس » ببلاد المغرب حيث دون خلاصة دراساته وتجاربه فى كتابه المشهور تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب

---

(١) . أحمد الخشاب : التفكير الاجتماعى ، مرجع سابق ، ص ١٨٩ ، ١٩٠ .

(٢) راجع تفاصيل أكثر حول هذا الموضوع فى كتابنا : التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ،دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى، مركز الدراسات اليمنية ١٩٨٠، الفصل الأول بصفة عامة وبالذات ص ٣٢ — ٣٨ .

الأسفار عام ١٣٥٦م ، والذى اشتهر برحلة ابن بطوطة[١]. ومنهم أيضاً العلامة ابن فضلان الذى أرسله الخليفة المقتدر من بغداد عام ٩١٢م، ٣٤٦هـ إلى ملك الصقالبة حيث وصف الأسلاف الوثنيين لسكان شمال غرب أوروبا «الغاليين» وأبو القاسم عبدالله بن خرداذبه صاحب كتاب « المسالك والممالك » الذى ألفه حوالى ٨٤٦م وأحمد بن يعقوب المعروف باليعقوبى « صاحب كتاب » « البلدان » الذى وصف فيه بلاد الهند ومصر وأرمينية ، والذى ألفه عام ٨٩١م. والأنثربولولوجى والجغرافى الكبير أبو الحسن على بن المسعودى الذى طاف ببلاد كثيرة ووضع دراسات ماتزال لها أصالتها ويعتبر كما يقول الدكتور مصطفى الخشاب من أدق علماء الأنثروبولوجيا العرب ، وهو صاحب كتاب « مروج الذهب ومعادن الجوهر » ألفه حوالى ٩٥٠م[٢] . وأبو القاسم محمد بن حوقل المتوفى عام ٩٩٠م والذى تعتبر أعماله مرجعاً فى دراسة أحوال دولة القرامطة الاجتماعية ونظمها الاشتراكية فى البحرين واليمن وشمال أفريقيا ، وياقوت الحموى المتوفى عام ١٢٢٩م صاحب كتـــاب « معجم البلدان » والشريف الإدريسى من بلاد المغرب وهو من علماء الخرائط ، وصاحب كتاب « نزهة المشتاق فى إختراق الآفاق » ألفه عام ١١٥٣م وقد إشتغل بنقل علوم العرب إلى الأوربيين[٣] .

ثالثاً : الدلالات الموضوعية غير المباشرة

أما الدلالات الموضوعية غير المباشرة للجوانب الاجتماعية فى التاريخ والتراث العربى فإنه يمكن ملاحظتها واختزالها بسهولة من خلال أعمال العلماء العرب ومصنفاتهم الموسوعية ، والذين طغى على جهودهم وأعمالهم الطابع التاريخى الروائى والاهتمام الأدبى والدينى ، وكتاب السير والتراجم والأقاصيص والفهارس ، الذين شكلوا محاور وأقطاب قوية لا تجارى فى عالمنا العربى حتى

---

(١) علم الفولكلور محمد الجوهرى ، مرجع سابق ، ٤٦٧

(٢) د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسه ج ١ دار المعارف ، ص ١٣ وانظر كتاب التفكير الاجتماعى ، مرجع سابق : ص ٢١١ .

(٣) مجلة المعارف اللبنانية عدد كانون ثانى ١٩٦٢ م ، د . على سعد ، مقال بعنوان ابن طفيل فى ميزان العلم .

اليوم ، كل فى مجاله ، أمثاله المسعودى وابن قتيبة والجوزى ، وكذلك الجاحظ وابن طفيل فى رسالته الشهيرة « حى بن يقضان .

ففيما يتعلق بالاتجاهات التاريخيـــة الروائية نجد ابن قتيبة والجوزى ، أما التحليلية الفكرية فنجد الجاحظ وابن طفيل ، الذى علق الدكتور على سعد على رسالته «حى بن يقضان» بقوله : «إن ابن طفيل يعتقد بأزلية المادة واستحالة فناءها أو انعدامها وكل مايصيبها هو التحول والتبدل .[١] ويعلق الدكتور أحمد الخشاب على هذا الرأى بالقول بأنه شبه حرفى عن قانون بقاء المادة الذى يعتبر أحد الأسس للعلوم الطبيعية الحديثة والذى عبر عنه العالم الفرنسى «لفوازييه» بقوله الشهير : « لاشىء فى الطبيعة يفنى ولاشىء يخلق من العدم »[٢].

يضاف إلى ذلك المذخورات الضخمة من التراث الأدبى والشعرى والقصصى عن حياة ما قبل الاسلام وبعده ، والتى تسجل معظم جوانب الحياة الاجتماعية بطريقة مباشرة وغير مباشرة ، وكذلك تشريعات الأئمة الأربعة الكبار مالك بن أنس ، وابن حنبل ، وأبى حنيفة ، والشافعى ، بكل ماعملوه وخلفوه من تراث وأعمال خالدة ما تزال فى مجموعها وما انبثق عنها ، أسس لا تجارى وقمم لا تطال حتى الآن ، فيما يتعلق بالمجال الدينى وغيره ، الأمر الذى يؤكده الدكتور محمد الجوهرى بقوله : « والحقيقة أن حضارتنا العربية الأصيلة تنفرد بميزة فريدة هى ثراؤها فى المدونات ، ثراء يفوق أى حضارة إنسانية أخرى ، ولذلك يمكن أن نقول (الكلام ما يزال للدكتور الجوهرى) دون أى مبالغة أن المدونات كمصدر للمادة الفولكلورية العربية تمثل مصدرا ثريا ورئيسيا يفوق الوضع المعروف فى أى حضارة أخرى. [٣] وما من شك أن ما ينطبق على مجـال الفولـكلور بالنسبة لإفادته من هـذه المدونات — كما يذكر الدكتور الجوهرى — ينسحب من باب أولى على

---

(١) مجلة المعارف اللبنانية عدد كانون ثانى ١٩٦٢ م د . على سعد مقال بعنوان ابن طفيل فى ميزان العلم .

(٢) د . أحمد الخشاب التفكير الاجتماعى (مرجع سابق) ، ص ٢٦٨ .

(٣) د . محمد الجوهرى : علم الفولـكلور ، دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٢٤ .

الانثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية بعامة فى الامكانية الغير محدودة للإستفادة من هذة المدونات وتجميع وتحليل المادة الاجتماعية فيها .

ولقد وضع الدكتور محمد الجوهرى فى كتابه القيم « علم الفولكلور » دراسة فى الأنثروبولوجيا الثقافية ، تصنيفا جيداً لهذه المصنفات مشيراً إلى إبرزها بالتحليل والشرح ، والتى نوجزها على النحو التالى .

١ — الأعمال البيبلوقرا فيه : وأشهرها كتاب الفهرست لابن النديم ، كما يعد كتاب « كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون » لحاجى خليفة من أبرز الأعمال البيبلوقرافية العربية .

٢ — المؤلفات الموسوعية : ومن أشهرها كتاب النويرى (١٢٧٨ — ١٣٣٣ م) « نهاية الأرب فى فنون الأدب » « وصبح الأعشى فى صناعة الانشا » للقلقشندى (١٣٥٥ — ١٤١٨ م) ومروج الذهب للمسعودى المتوفى عام ٣٤٦ هجرية .

٣ — المؤلفات ذات الصبغة الدينية : منها كتاب « إحياء علوم الدين » « للغزالى » وغيره ، ومن المؤلفات الدينية الأكثر قرباً من التراث الشعبى والاجتماعى مؤلف « ابن العطار » رسالة فى أحكام الموتى وغسلهم وتكفينهم ودفنهم . . . . الخ والمتوفى عام ٧٢٤ هجرية ١٣٢٤ م . ومؤلف ابن الحاج « المدخل إلى الشرع الشريف » والمتوفى بالقاهرة ٧٣٧ هـ ١٣٣٦ م .

٤ — الكتب التاريخية : وهى تنقسم إلى « حوليات المؤرخين » وكتب « التراجم والطبقات » وأبرزها كتاب « المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والأخبار » للمقريزى وابن اياس فى كتاب « تاريخ مصر المشهور ببدائع الزهور فى وقائع الدهور » والمتوفى عام ٨٥٢ هـ ١٤٤٨ م . ثم كتاب الجبرتى « الآثار فى التراجم والأخبار » .

٥ — المؤلفات الجغرافية : ومن أبرزها كتاب « البلدان » لليعقوبى المتوفى ٢٨٤ هـ ٨٩٧ م .

٦ — الكتب الأدبية والأعمال الشعبية : ومنها كتاب « الأغانى لابى الفرج الأصفهانى » وكتاب « المخصص » لابن سيده « وعيون الاخبار » « لابن قتيبة » .

٧ — الكتب المتصلة بالعلوم الطبيعية العربية مثل كتاب الجامع لمفردات الأدوية والأغذية « لابن البيطار » وكتاب « الحيوان » للجاحظ .

٨ — كتب الرحلات : وأهمها كتاب ابن بطوطه « تحفة الأنظار فى غرائب الأمصار وعجائب الأسفار » والمشهور برحلة ابن بطوطة .

٩ — الكتب الإجتماعية والفكرية : مثل كتاب ابن الشحنة « لسان الحكام فى معرفة الأحكام » ورفاعة الطهطاوى « المرشد الأمين للبنات والبنين » وقاسم أمين « تحرير المرأة »[١] .

ويضاف إلى ما ذكره الدكتور الجوهرى فى تصنيفه الكثير والكثير من المذخورات والمدونات التى لا تقل أهمية عما ذكر ، والتى يمكن إلحاقها ضمن التصنيف السابق الذى وضعه الدكتور الجوهرى ، من ذلك الأعمال الفكرية الناضجة للمعتزلة والخوارج والقرامطة وغيرهم من الفرق الإسلامية المختلفة ذات الطابع العقلى والأكثر التصاقا وقربا من الرؤية الأجتماعية قديماً وحديثاً والتى قضى على معظم تراثها ، والتى سبق وأن أبنا الكثير عنها جملة وتفصيلا فى الفصلين السابقين .

الدلالات المنهجية وأهمية تحقيقها

والشىء الذى نريد أن نؤكده هنا والدافع إلى تناول هذه الأعمال هو أن غياب المدخل الاجتماعى واستقلاله فى البحث والتفكير من ناحية ، وتداخل

---

(١) أنظر فى ذلك الفصل الخامس من كتاب علم الفولكلور ، دراسة فى الانتروبولوجيا الثقافية للدكتور محمد الجوهرى ، حيث خصص هذا الفصل لشرح وتحليل هذه المصنفات ، دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٧٧ ، ص ٤٢٤ — ٤٧٤ .

الجهود والاهتمامات بحكم طبيعة المرحلة التاريخية من ناحية أخرى ، قد جعل جانبا لا بأس به من المجال الاجتماعى يشكل موضوعا ومادة لأعمال واهتمامات هؤلاء الرواد وغيرهم ، كل يتناوله ويأخذ منه ما يتناسب ومجال اختصاصاته أو ما يعتقد أنه جزء من مجال اختصاصه ومن صلب مهمته ، رغم أن الأمر قد لا يكون كذلك لو وجد مثل هذا المدخل منذ وقت مبكر وحتى الآن . فالمسعودى مثلا الذى اشتهر باعتباره راوية تاريخية بارزة تتضمن أعماله من القضايا والتحليلات مالا يمت إلى علم التاريخ والجغرافيا — اللذان عرف بهما قبل أى شىء آخر بمفهومهما الحديث وحتى الكلاسيكى — بأى صلة والمتتبع لتلك القضايا والتحليلات والمعلومات الوفيرة والدقيقة فى الوصف ذات الطابع الخيالى والاسطورى والخرافى من جهة وما يتصل بعادات الناس ومعتقداتهم وتقاليدهم ووصف البيئات والسلالات . . الخ ، إلى درجة أن الدكتور مصطفى الخشاب يصفه بأنه من أدق علماء الانثر وبواوجيا العرب[١]. فلقد كان يدون تلك المعلومات من خلال سماعه ومشاهداته ويعتبرها حقائقا تاريخية بدلا من كونها ظواهراً إجتماعية بالدرجة الأولى، ومن ذلك مثلا ما رواه عن الاسكندر المقدونى عندما قيل بأن دواب البحر صدته عن بناء الاسكندرية ، وكيف اتخذ صندوقا من الزجاج وغاص فيه إلى قعر البحر حتى صور تلك الدواب « الشيطانية » التى رآها وعمل لها تماثيل من أجساد معدنية ولصقها بجدار البنيان ففرت تلك الدواب حين خرجت وشاهدتها وتم بناء الاسكندرية[٢] . وما رواه أيضا عن قصة مدينة « إرم » ذات العماد فى صحارى عدن ومدينة النحاس وغير ذلك من الأخبار التى أنكرها عليه ابن خلدون وفندها تفنيدا ، وأكد بأن مثل هذه الروايات أقرب إلى الأساطير منها إلى الحقائق التاريخية ، حيث وصفها ابن خلدون بالكذب[٣].

---

(١) د . مصطفى الخشاب علم الاجتماع مدارسه ج ١ ص ١٣٠ دار المعارف ١٩٦٦ .

(٢) د . حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى ، ص ١١٥ ، دار المعارف بمصر الطبعة الثالثة ١٩٧٥ . وانظر فى ذلك أيضاً مقدمة ابن خلدون طبعة دار الشعب الحديثة ، ص ٣٦ .

(٣) المرجع السابق ص ١٠٨ .

فمثل هذا المنهج الذى اتبعه المسعودى ، وغيره من المؤرخين والذى جرهم إلى الخلط وعدم التمييز بين حقائق التاريخ وأحداثه الواقعية التى دونوها من جهة ، وحقائق المجتمع من جهة أخرى وعدم القدرة على التمييز بينهما ، كان ينتهى بهم فى كثير من الأحيان إلى نتائج متناقضة بطبيعة الحال ، أووجود حلقات مفرغة فى تسلسل أحداثهم ، كانوا يضطرون معها إلى ارتكاب أخطاء أخرى ، هى القيام بعملية افتراضات وتخيلات ذاتية من أجل الوصول إلى حقائق تاريخية منسقة بطريقة فجة ، ولقد كانت مثل هذه الأخطاء التى وقع فيها المؤرخون هى نقطة الانطلاق فى تفكير ابن خلدون وتفنيده المرير لأعمالهم وطريقتهم فى كتابة التاريخ من ناحية ، ودافعه الأول إلى وضع قواعد منهجية لقراءة وكتابة التاريخ وتمييز المجال الاجتماعى والظواهر الاجتماعية وعلاقتها الموضوعية بالأحداث التاريخية من ناحية أخرى(١).

فالمؤرخون بهذا المعنى قد ضمنوا أعمالهم مادة اجتماعية وأنثروبولوجية جاءت مختلطة ومتداخلة مع مادة الحوادث التاريخية البحتة . التى اعتقدوا أنهم لم يتجاوزوها ، وهذا هو مانود تأكيده والوصول إليه . ومهمة الباحثين الاجتماعيين والأنثروبولوجيين والفولكلوريين هى القيام بعملية اختزال وجمع هذه المادة وتحليلها ووضعها فى إطار منهجى اجتماعى حديث ، إضافة إلى الأعمال الأنثروبولوجية الأكثر وضوحاً واستقلالا . والتى تتمثل فى أعمال الرحالة باعتبار أن كل ذلك يشكل البعد والتجذير والتأصيل الضرورى لإقامة نظرية اجتماعية وعلم اجتماعى عربى مستقل .

وما ينطبق على أعمال المؤرخين يسرى إلى حد كبير على الأعمال الأدبية والدينية إلى حدما . وأعمال السير والتراجم التى يزخر بها التراث العربى وتزخر بالمادة الاجتماعية والأنثروبولوجية مع فروق نسبية من حيث المادة ونوعها والكيفية التى تشكلت بها داخل هذا الاطار أو ذاك بصورة مباشرة أوغير مباشرة . فالتراث الدينى الأصيل على اختلاف موضوعاته حتى ماتسم منه

---

(١) راجع بصفة خاصة د . مصطفى الخشاب : « علم الاجتماع ومدارسه » الجزء الأول دار المعارف : طبعة ١٩٦٥ م

بطابع التزمت والتعصب يتضمن فى مجمله مادة اجتماعية وأنثروبولوجية هامة من ذلك آراء الإمام الغزالى فى كتابه « إحياء علوم الدين » وغيره من أصحاب المذاهب . كما أن الدكتورة عليا شكرى فى دراستها عن الثبات والتغيير فى عادات الموت فى مصر قد عرضت لطائفة جيدة من المصادر الدينية المتعلقة بهذا الجانب والتى اعتمدت عليها فى جمع شواهد من عادات الموت فى مصر (١).

يضاف إلى ذلك بعض الأسس المنهجية التى تبحث فى أصول الدين ومصادره وأحكامه ، والتى تتقارب إلى هذا الحد أو ذاك مع الأدوات المنهجية فى العلوم الاجتماعية الحديثة ، خصوصاً ما يتصل بالجوانب الفقهية والتشريعية وطرق المعاملات ، التى تعتبر فى جانب أساسى منها ترجمة عملية وموضوعية لطبيعة الظروف والأحوال الاجتماعية داخل الدولة الإسلامية ، والتى كانت تتغير من مكان لآخر داخل الدولة ، وفقا لما تقضى به طبيعة الظروف الاجتماعية والبيئية والمناخية أيضاً ، فقد كان الإمام الشافعى مثلا يضع تشريعاته فى المعاملات وبعض جوانب العبادات وهو فى بغداد بشكل مختلف فى كثير من الأمور عما يضعه وهو فى مصر ، بوعى وإدراك كامل . وفقا لما تقضى به أحوال الناس وظروفهم وبيئتهم الاجتماعية(٢). وينطبق نفس الشىء على الأئمة الآخرين من الإمام مالك وأبى حنيفة وابن حنبل ، حيث تعتبر اختلافاتهم الكثيرة فى جزئيات العبادات وأحكام المعاملات والتشريعات صدا حقيقيا لطبيعة اختلاف الظروف الاجتماعية التى كانت تحيط بكل منهم ، وتختلف نسبياً من مكان لآخر ، فقد كان من الصعب جداً على الامام مالك بن أنس مثلا وهو يقيم فى مكة والمدينة المنورة أن يفتى بأن لمس المرأة الأجنبية يفسد معه الوضوء وتبطل الصلاة ، كما قضى بذلك الإمام الشافعى وهو فى مصر أو اليمن مثلا . والسبب فى ذلك أن الإمام مالك كان يعيش فى حاضرة الحج الإسلامى (مكة) والتى يأتى إليها مئات الألوف من المسلمين من مشارق الأرض ومغاربها من رجال ونساء لأداء فريضة الحج ، ويدخلون جميعا

---

(١) علم الفولكلور ، مرجع سابق ، ص ٤٣٤ وما بعدها .
(٢) التفكير الاجتماعى ، ص ١٩٠ مرجع سابق .

فى زحام مرير حول الحجر الأسود والطواف حول الكعبة ، ومن المستحيل أن لا يلمس بعضهم بعضا رجالا ونساء ، بينما كان الإمام الشافعى يحس أنه فى حل من مثل هذا الموقف ، إضافة إلى الأهمية البالغة لمراعاة طبيعة البيئة والظروف المحيطة والمشاعر النفسية لطبيعة كلا الموقفين . وإن العملية ليست مجرد تحليل وتحريم أو مبطل وغير مبطل بقدر ما أن العملية عملية ظرف اجتماعى معين لا يمكن عمل كل شىء بعيداً عنه(١) . وبدلا من أن تؤخذ أوجه الاختلاف الدينى بهذا المعنى العقلى والمفهوم الإجتماعى الذى لم يحاول أحد أن يفهمها من هذا المنطلق ، فقد فهمت من زوايا عكسية تقوم على التفسير الذاتى والشخصى ورفض تعليلها بالوقائع ، إضافة إلى أنها قد اتخذت كمنطلقات للتعصب المذهبى والطائفى لموقف دون آخر ، ويتمسك كل بما يتعصب وينتمى إليه وتخطئه غيره وتكفيره فى كثير من الحالات ، مما كان له عواقبه السيئة ، بالرغم من أنه حتى القرآن نفسه قد جاءت آياته وسوره وأحكامه متفرقة حسب ما كان يقتضيه الحال والموقف بالنسبة لمراحل الدعوة وانتقالها من مكة إلى المدينة ، بل وبمقتضى ما كان يعرض للرسول من شئون الحياة اليومية . وهو أمر يلاحظ من الفرق الواضح بين مضمون السور المكية والمدنية من حيث أن الأولى قد تميزت بالتركيز على دعوة الناس للدخول فى الدين وتبشير من يستجيب بالثواب وتخويف من لا يستجيب بالعقاب يوم القيامة ، أما السور المدنية التى جاءت بعد أن تأكد انتصار الدعوة فقد تميزت بالدعوة إلى الجهاد فى سبيل الله من ناحية ، ووضع تفاصيل التشريعات والعبادات من ناحية أخرى إستجابة لمقتضى ظروف الحال والمكان والزمان واستعدادا لإقامة نظام الدولة الجديدة . ولو أن علم إجتماع دينى عربى قد وجد ومدخلا اجتماعيا عاما لدراسة التاريخ والتراث العربى برمته قد توفر لاستطاع كل ذلك أن يسهم فى إزالة كل تلك الملابسات والاختلافات التى انعدمت معها القدرة على التميز بين الحقيقة والوهم ولاستطعنا بفضل ذلك أيضا أن نقرأ التاريخ والتراث قراءة علمية وموضوعية

---

(١) د . أدونيس الثابت والمتحول ، الكتاب الثانى ، دار العودة بيروت الطبعة الأولى ص ١٤٥ ، وما بعدها .

بعيداً عن الزيف والأغراض الجانبية المضللة . فمن شأن إيجاد علم اجتماع دينى عربى ومدخل إجتماعى لدراسة التاريخ والتراث العربى بصفة عامة والتراث الشعبى على وجه الخصوص فى ضوء حقائق العصر ومفاهيمه ومنجزاته ومناهجة التقنية والعلمية ، من شأن كل ذلك أن يحقق عدة مكاسب علمية وعملية ويأتى فى مقدمتها :

أولا : تحقيق الرؤية الاجتماعية المفقودة فى تفسير التاريخ والتراث الحضارى العربى ككل ، التى سوف تساعد مثل هذه الرؤية إذا ما توفرت على تفسير مختلف الوقائع والأحداث والمراحل التاريخية التى مرت بها الحضارة العربية تفسراً اجتماعياً وعلمانياً وموضوعياً وجدلياً ، بيعداً عن الوقوع تحت طائلة أى من التأثيرات الجانبية سياسية كانت أم دينية أم ذاتية أو غيرها ، ويتغير بذلك أسلوب السرد التاريخى الجاف للأحداث والنمط الدينى المتعصب فى بعض جوانبه من ناحية والمتحجر من ناحية أخرى ، بل سنقوى بفضل ذلك على اكتشاف الحلقات المفقودة والجوانب المنسية التى أسدلت حولها سحب كثيفة من الظلام وأقيمت دونها الأسوار المنيعة المميتة حتى لا ترى النور بقصد وبغير قصد ، لأن من خواص الرؤية الإجتماعية أو على الأصح المنهج الإجتماعى العلمى فى تفسير ودراسة التاريخ عدم الأخذ بتفسير ظاهرة دون أخرى والنظر إلى حدث معين من زاوية أحادية الجانب ، بل لابد وأن تفسر مجمل الأحداث والوقائع وفقا لمنهج النظرية الإجتماعية الحديثة فى إطار تكاملى جدلى مترابط يفسر بعضها بعضا ويستخلص بعضها من البعض الآخر بالضرورة .

ومن شأن تحقيق الرؤية والمنهج الإجتماعى فى إعادة قراة وتفسير هذه الأحداث ووضعها فى سياق تاريخى جدلى واجتماعى مترابط أن تحل كثيراً من القضايا الغامضة وتكشف أو توصل كل الحلقات المفرغة فى هذا التاريخ بل الخروج به مرة واحدة عن دائرة الاجتهادات الذاتية والمذهبية المتعصبة إلى دائرة العلم والنظرية الاجتماعية العلمية وقوانينها التاريخية المرتكزة على قوانين التطور الاجتماعى والحياد العلمى ، وقد أشار الدكتور أحمد الخشاب فى معرض حديثه عن أهمية علم الاجتماع الإسلامى إلى أهمية الأهداف والنتائج التى ستترتب

على إتباع مثل هذا المنهج فى معالجة التراث ، حيث أبرز أهمية المعطيات التى قدمها الفكر الإسلامى وإعادة تقييم الموروثات التى خلفتها الثقافة العربية الإسلامية وتقييم المادة العلمية التى انطوت عليها المصادر الإسلامية فى ضوء النظريات الاجتماعية المعاصرة وضرورة تقييم موقف القيم الروحية والاجتهادات الفكرية إزاء المشكلات الاجتماعية الحالية ، بقصد الافادة من هذه المواقف فى الاستجابة لحركات الاصلاح وتنمية وحده المشاركة الجماهيرية إزاء العمليات التنمزية .

ثانياً : تحقيق الصلة وإنهاء القطيعة بين الماضى الذى بنيت كل مفاهيمه ودونت كل وقائعه وأحداثه من خلال أبعاد دينية وأدبية وسياسية ولغوية فقط مشوبة بنزعات التحيز والاجتهادات الذاتية « وفى معزل تام عن الرؤية الإجتماعية والتاريخية الجدلية والموضوعية » ، وبين هذا الحاضر والمستقبل الذى يقوم أساسا على مبدأ التكامل والرؤية العلمية بالدرجة الأولى والمستندة إلى قوانين الحياة الإجتماعية والأقتصادية ، حيثما تزال كل الأحـداث والوقائع تؤخذ وينظر إليها حتى الأن من خلال تلك الأبعاد والمفاهيم الكلاسيكية القاصرة وحدها ، لأن مثل هذه القضية قد خلفتها ظروف تاريخية معينة وأمد فى عمرها كابوس التخلف والأنحطاط الذى وقعت فيه الأمة العربية ، وثبته وكرسه الأستعمار فى العصور الحديثه خدمة لمصالحة القومية والأقتصادية (١) .

فهذه القطيعة أو الحلقة المفرغه لا يمكن أن تنهيها الحماسات السياسية والعواطف القومية وحدها التى تسود اليوم شعوب العالم الثالث وهى الشعوب التى تعرض تاريخها ووجودها القومى نفسه للعبث والتشكيك والتمزيق من قبل المستعمرين الأوربيين (والشعوب العربية جزء منها) فى ظل مراحل التحرر الوطنى والسياسى وإنحسار الوجود الأستعمارى المباشر ؛ بقدر ما ستنهيها التغييرات الإجتماعية الجذرية وتحقيق رؤية علمية ناضجة للتاريخ الأجتماعى والحضارى فى هذه الشعوب كبعد جوهرى للرؤية السياسية والوطنية والقومية السائدة الآن والمتجهة نحو المستقبل .

---

(١) راجع د . محمد الجوهرى وآخرون : دراسات فى التنمية الاجتماعية ، طبعة ١٩٧٤ ، دار المعارف بمصر ص ١٢٦ و ١٧٢ .

كما أن تحقيق مثل هذه المهمة من شأنه توفير القدرة الكافيه على تطهير وتنقية هذا المذخور الحضارى والثقافى الضخم من الخرافات والشوائب والمفاهيم العقيمة التى لحقت بتاريخ وحياة المجتمعات العربية وتحكمت فى جانب من سلوكها وتفكيرها والدفع به فى إتجاه سالب ومعوق لحركتها نحو التقدم والنمو وتمييز النافع منها والأقل نفعاً بل والأكثر خطورة وفساداً فى ضوء منهج تاريخى علمى وعقلى متكامل لا فى ضوء مسلمات غيبية ومعتقدات خرافية متحجرة أو فى ضوء مصالح شخصية وطبقية متخلفة ومفاهيم سياسية وإجتماعية متعصبة ، وهو الأمر الذى تدعو إليه حديثاً بعض المناهج والنظريات الإجتماعية الجديدة فى عملية تفسير الأحداث والوقائع ، كنظرية « إعادة البناء التاريخى للأحداث » والنظرية البنائية فى تفسير الحكايات الشعبية على النمط « الجشطلتى » فى علم النفس ، وقد أزدهر هذا الأتجاه منذ الخمسينات والستينات من هذا القرن ومن أبرز رواده V. Prpp الروسى وتلميذه Aalon dnndes [1] .

كما أن الرؤية العلمية للتاريخ والتراث وإعادة بناء أحداثه وتفسيرها على أسس علمية وإيجاد الصلة الطبيعية بينهما وبين ما هو قائم فى الوقت الحاضر وإنهاء القطيعة بينهما ليست عملية مقصودة لذاتها فحسب ولكنها لابد وأن ترتبط من جانب أولى بعملية توظيف كل الجوانب المشرقة والمضيئة فى هذا المذخور التراثى والتاريخى الواسع فى خدمة أهداف التقدم الإجتماعى والاقتصادى المعاصر ومحاربة التخلف القائم بمختلف صوره وأشكاله بأعتبار أن تلك الجوانب الإيجابية تمثل التأصيل القوى فى الماضى للإنطلاق المعاصر نحو المستقبل ؛ ولأن البحث والكشف عن تلك الجوانب ووضعها فى مكانها الصحيح فى عملية النضال ضد كل أشكال التخلف سيشكل أقوى عوامل النصر وأكثرها حسما وعوناً فى هذا السبيل ، وذلك بدلا من تركها إما إهمالا أو جهلا فى يد الجانب الآخر المعادى للتقدم يشوهها ويستخدمها مع

---

(١) د . دورسون ، نظريات الفولكلور المعاصر ، ترجمة د . محمد الجوهرى و د . حسن الشامى ، دار الكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٢ م و ص ٦٢ و ١٢٧ و ١٣٣ .

غيرها من الجوانب السالبة فى هذا التراث التى يعمل على تكريسها فى خدمة مصالحه المرتبطة بأستمرار حالة التخلف القائم ، والتى كانت وما تزال تشكل فى موقفه وصراعه مع الجديد أقوى عناصر القوة وعامل إختلال الموازين بأستمرار لصالح هذا الطرف السلفى والرجعى المعادى للتقدم(١) .

ثالثاً : أما الأهمية الثالثة والأخيرة فى تقديرنا التى سوف تترتب على تحقيق مثل هذا المدخل فهى الوصول إلى إقامة وبناء أسس نظرية إجتماعية عربية متكاملة وإرساء أسس علم إجتماع عربى مستقل وواضح المعالم ؛ وتلك مهمة تاريخية ملحة ولا مناص منها قرب الوقت أم بعد ، ومن هنا تتأكد حقيقة أن الأمر لا يتوقف فى هذا الشأن على البحث فى الماضى نفسه أو لذاته بل لابد وأن تبنى أسس وأهداف مثل هذا العمل فى صميم الحاضر وفى ضوء مفاهيمه ومناهجه وقوانينه الأجتماعية والتاريخية من أجل المستقبل ، ذلك أن كثير من المحاولات والجهود القائمة فى مجال علم الأجتماع والعلوم الإنسانية ككل فى بلادنا العربية وفى البلدان النامية والمتخلفة بشكل عام ينطوى معظمها على مجرد الإمتداد والتقمص لما يحدث فى الخارج أو ما يأتى من أوربا على الأصح دون الرجوع كثيراً إلى الإمتداد والبعد التاريخى الحضارى والقومى وتحديد علاقته ومكانته فى هذه الجهود كبعد وتأصيل ضرورى لأى عمل علمى أو أى مهمة جادة فى هذا الصدد ، لأنه بغير مثل هذا البعد ستظل مثل هذه المحاولات رغم جديتها وأهميتها ليست أكثر من مجرد تراجم وشروح فى حالة أغتراب ومقضى عليها بالتعثر المستمر ، لأن عملية النقل والتعرف على أحدث ما وصلت إليه مسارات الفكر والتقدم البشرى فى هذا المجال والأكتفاء بشرحها ومناقشتها وتعميم نتائجها بطريقة فجة ومتعسفة لهو من الأمور الخطيرة إذا ما إستمرت كثيراً .

والموقف الصحيح والأقرب إلى طبيعة الأمور وجعل العلم فى خدمة التقدم فى بلادنا هو أن ينظر إلى مثل هذه الانجازات والجهود العلمية التى يصنعها الغير ويزودوننا بها مادية كانت أو معنوية باعتبارها بعدا وإمتدادا ضروريا

---

(١) راجع تفاصيل أكثر فى هذا الشأن فى كتابنا : التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ، دارسة تطبيقية عن المجتمع اليمنى ، مركز الدراسات اليمنية ١٩٨٠ الفصل الثامن بصفة عامة ، وبالذات ص ٣٠٩ إلى ٣١٦ .

لا غنى عنه بالنسبة لنا فى إتجاه المستقبل ، ولكن ليس لذاته بل من أجل تحقيق ما يجب أن نفعله نحن ونعبر به أيضا عن وجودنا وتاريخنا بكل ما فيه من خصوصيات مؤكدة فى مجال العلوم الإنسانية بالذات ، وذلك حتى لا نظل نلهث ونبذل الجهد والعرق فى محاولة نسيان أنفسنا والبحث عن هوية لا وجود لها من خلال ما يقدمه لنا الأخرون .

لماذا يتذكر الناس تاريخهم ؟

صحيح لماذا إذن يتذكر الناس ماضيهم وتاريخهم ويهتمون به هكذا ونحن جزء منهم وما الفائدة من ذلك ؟؟ . إن ماضى الأمم والشعوب لايقدم خبزا ولاعسلا ولا مجداً على أطباق من ذهب وأروقة من المرجان ، ولكنه يقدم لها عظات ودروس لامثيل لها ولايقوى أحد على تقديمها غيره ، تفيد منه أعظم الفائدة فى بناء حاضرها وتحديد ملامح مستقبلها ، إذا ما أحسنت فهم هذه الدروس فهما جيداً ،بغض النظر عن كون هذا الماضى حسنا أم سيئا ، لا فرق أبدا ، فالشعوب الأوربية المعاصرة مثلا ، والتى لم يكن ماضيها القريب والبعيد أكثر من مجاميع من القبائل الجرمانية البدائية شبه المتوحشة والتى لا تعرف نظاما ولادينا ولا تحضرا إنسانياً مما يزخر به الشرق من المعانى الحضارية والإنسانية الضاربة فى القدم ، إلا أنهم يتذكرونه جيداً ويجسدون صورته أمام إجيالهم الحاضرة لكى يستمدوا من خلال ذلك فخر نجاحهم وما حققوه من إنتقال حضارى رهيب فى جوانب حياتهم المختلفة من ناحية ، وكى يتعلموا منه الحرص على عدم التفريط بكل ما وصلوا إليه من إنجاز وتقدم ، وأن أى إهمال أو تفريط معناه السقوط والانحدار من جديد نحو تلك الحياة البدائية الشبيهة بحياة الحيوانات .

والأمريكيون لا يذكرون لهم ماضيا قبل أكثر من ثلاثمئاة سنة على الأكثر لأنهم لا يملكون ماضيا أكثر من كونهم قد وصلوا العالم الجديد من أوربا وغيرها فى شكل عصابات ومجاميع غازية محاربة بأحدث الوسائل التقنية ، وأبادوا الشعوب الأصلية والبسيطة فى هذا العالم وأقاموا الحياة المزدهرة المتحضرة على أنقاضها ، مستنتجين من ذلك بأن مبدأ القوة والعنف والاستعمار

وسيادة الأقوى بجانب العلم والتكنولوجيا المتفوقة وكل مفاهيم الحياة المتطورة هو الذى ضمن تفوقهم داخل وطنهم الجديد وخارج هذا الوطن إلى حد ما ، وهو ضمان إستمرار تفوقهم وتقدمهم فى المستقبل .

والصينيون واليابانيون يتذكرون اليوم تاريخهم الحضارى الضارب فى عمق الزمن ليتعظوا بجوانبه السلبية ويزيلوها من حياتهم الجديدة ويفيدوا من أفضل ما فى جوانبه المشرقة من أجل بناء هذه الحياه الحاضرة والمستقبلة أيضا ويصنعون من حاضرهم القائم ومستقبلهم المقبل الامتداد الأفضل والأكثر تقدما وأرتقاءا بحياة الإنسان وحريته وتفكيره ورفاهيته بالنسبة لذلك الماضى العريق حيث ترقـد أعظم حضارات الشرق وأكثرها تشعبا وتعقيداً .

ومثل هذه العلاقة التى تربط مثل هذه الشعوب والمجتمعات بماضيها هى أفضل ما يمكن أن تكون عليه بالنسبة لعلاقة الماضى بالحاضر وأفضل ما يمكن أن يستفيده أى شعب من تاريخة من دروس بالنسبة لحاضرة ومستقبلة ، بغض النظر عن نتيجة هذه العلاقة وما قد تسفر عنه احياناً من نتائج سيئة بالنسبة لشعوب ومجتمعات أخرى ، كما هو الحال بالنسبة للشعوب الأوربية وأمريكا الرأسمالية وماتمارسة من عمليات الاستعمار والاستغلال والقهر ضد كثير من الشعوب من أجل مصلحتها ،وهناك من الشعوب والمجتمعات من لايتذكر ماضية إلا من أجل تطبيق أسوا ما فيه من ظلم وإستغلال وخرافة ومسخ لحياة الإنسان وتضليله ، كما يفعل المجتمع الهندى ، أو من أجل تشويه جوانبه الحسنة والعيش على إجترار ذكراه المشوهة كما تفعل معظم الشعوب النامية والكثير من المجتمعات المتخلفة .

واقعنا القائم بين ذكريات الماضى وطموح المستقبل

لكن لماذا نسترجع نحن الأن فى الوطن العربى وفى اليمن بالذات كل تلك الذكريات ونبحث عنها بنهم فى عمق التاريخ ؟هل من أجل أن نستعيض بذكراها والحديث عنها عما ال إليه واقعنا من الانحطاط والتقهقر ،ومايرزح فوق كاهله

من أعباء التخلف والمهانة، ويكون لنا فى ذلك عزاء وسلوى نغالط بها نفوسنا وواقعنا أو نخدعها على الاصح ؟ أم من أجل أن نرد بها على كل من يسألنا عن حاضرنا أو يعيرنا بما لحق به ؟ ونظل نجتر هذا الماضى الميت بنفوس مريضة وعقول متحجرة خاملة وأيادى كسولة ملوثة بالخيانة والعار والمهانة حتى تصبح حياتنا بعد حين جزء من ذلك الماضى الميت ، بل وأسوا أجزائة ميتة ومدعاة للخزى والعار والانحطاط ؟ . . .

إن الماضى هو ملك لأهلة حسنا كان أم سيئا ، وإذا كان الماضى الحضارى للمجتمع اليمنى مثلا قد إستطاع أهله أن يسجلوه فى صورة إنسانية مشرقة كذلك. فإن تلك الصورة هى ملك لمن صنعها ، ولا يجوز لنا فى حاضرنا هذا أن نعيش على إجترارها والتطفل عليها لكى نغالط بها نفوسنا ونختفى تحت ظلها فشلنا وما آلت إليه حياتنا من التقهقر والتخلف ، صحيح أننا حقيقة نشكل الامتداد التاريخى والحضارى لتلك الصورة والذى لاخيار لنا فيه ولايستطيع أن ينكره علينا أحد ، لكنه الامتداد السيىء للأسف الشديد ، والامتداد الذى أهمل وضيع ونسى ، بل وأفسد وخرب وفرط ولم يضيف جديد حتى الأن .

ثلاثة دروس هامة من المـــاضى من أجل المستقبل

وإذا كان من المفروض علينا أن نعيد تقييم رؤيتنا وعلاقتنا بما ضينها وتاريخنا القريب والبعيد ، ونستمد منه الدرس والموعظة الحسنة ومقاييس الخطا من الصواب إسوة بغيرنا من الشعوب الناهضة من أجل بناء الحاضر والمستقبل ، بدلا من الاكتفاء بمجرد إحتراره المريض والمشوه ، فإنه لابد من البحث عن إجابة جادة عن السؤال التالى :

ما هى الدروس التى يمكننا أن نستفيدها من ضرورة إسترجاع الماضى بكل صورة المضيئة والمعتمة ؟ . . . من أجل بناء حاضرنا الأكثر ظلمة وتخلف فى عصر تتقدم فيه البشرية كلها بخطا سريعة ؟؟ . . .

١ — والرد هو أن أول درس يمكن أن نفيد منه فى هذا الصدد هو أن كل ما يسود اليوم واقعنا من قضايا ومفاهيم متخلفة من تكريس وصنع

التخلف ليست أصيلة فى وجودنا وتاريخنا . وإنما هى أفراز ونتيجة لمراحل الانحطاط والسقوط التى تعرض لها مجتمعنا فى العصور اللاحقة . كما أن كل ما من شأنه تمكيننا من تجاوز هذا التخلف ومحاربته من مفاهيم ومنطلقات عقلية وإيجابية وتغيرات وتحولات إقتصادية واجتماعية جذرية نحو الافضل ، هى من الأمور الأصلية فى تكويننا ووجودنا الحضارى والتاريخى ، وليست دخيلة أو غربية عنا كما يظن البعض ممن طغت على عقولهم المتحجرة مفاهيم التخلف والركود ، إنطلاقا من الحفاظ على وجودهم ومصالحهم الضيقة المرتبطة بهذا التخلف نفسه .

فإذا ما وجد من ينادى ويعمل من أجل محاربة التخلف وبناء مجتمع إشتراكى تقدمى متحضر حديث من خلال العمل على تأكيد المصلحة العامة والحق العام والمشاركة الجماعية والقضاء على الاستغلال الطبقى والانانية والتفرقة الاجتماعية وتأكيد حق العيش والاحترام لمن يعمل وينتج لا لمن يرتزق ويتطفل على حياة الاخرين ، فى ضوء منطق العقل والعلم بعيداً عن الخرافة والشعوذة والتزمت وغير ذلك من المفاهيم المتخلفة ، فإننا يجب أن نتأكد من أن مثل هذه الاصول والتى إلى جانب كونها هى منطلق العصر وأداة تحرر الإنسان والقضاء على تخلفه ، فهى بالنسبة لنا أيضا أصل من أصولنا الحضارية والروحية والاجتماعية وليست غريبة عنا .

وأننا يجب أن نقول لكل أولائك الذين تتعالى أصواتهم بصرحات الخوف والقلق والهلع من كل ذلك ووصفه بالكفر والالحاد أو البدعة والرذيلة .. الخ نتيجة لعدم قدرتهم على معرفة وفهم الماضى وأستيعاب الحاضر وهروبهم من المستقبل ، نقول لهم إن مثل هذه الأمور هى أصيلة فى واقعنا وتاريخنا ودیننا وليست مستوردة أو غربية عنا كما تظنون ، وأنها تشكل المدخل والاداة الحقيقية لبناء دولة يمنية قوية موحدة ومجتمع حر متحضر ومزدهر ومتقدم ، يسوده العدل والرخاء والمساواة والفضيلة والتعاون ، وأن العمل على تحقيقها سيكون هو الاعلان الحقيقى بزوال التخلف بمختلف أشكاله ، لا بزوال القيم والفضائل وخروج الأرض على طاعة السماء ، كما يعتقدون إما جهلا ،

وإما مكرا وحرصا على مصالحهم الطبقية والطفيلية المرتبطة بهذا التخلف نفسه على الأصح .

ولذلك فإن العمل اليوم من أجل بناء دولة يمنية إشتراكية قوية موحدة تقوم على أساس نكران الذات وتأكيد الحق العام والمصالح العامة والديمقراطية الشعبية الحقة ، والعمل الجماعى التعاونى فى صنع الحياة وإستثمار خيراتها ومحاربة كل أشكال التخلف والظلم والاستغلال والتفرقة ، وكل أشكال الشعوذة والخرافة والخروج على منطق العقل والواقع ، بالاضافة إلى أهمية الاعتماد على النفس وتأكيد حرية شعبنا وكبريائة الوطنى والقومى ، فإن العمل اليوم على تحيق كل ذلك بالنسبة للمجتمع اليمنى والعربى عامة هو عودة إلى الأصل بقدرما هو إنطلاقة نحو المستقبل الأفضل والقضاء على الواقع المتخلف ، وهذا هو الدرس الأول الذى يجب أن نتعلمه من قراءة تاريخنا وتراثنا الحضارى العريق .

٢ — أما الدرس الثانى الذى يمكننا الاستفادة به من إسترجاع وقرأة تاريخنا وتراثنا الحضارى بعناية ، فهو أن كل تلك المفاهيم والمنطلقات الديمقراطية والجماعية الحقة التى أرتكز عليها بناء الحضارة اليمنية القديمة ليست اليوم مجرد تاريخ بالنسبة للمجتمع اليمنى وحده ، ولكنها تشكل منطق العصر وأداة المرحلة التى تناضل من خلالهـــا كل الشعوب والمجتمعات النامية والمتخلفة من أجل تحقيق حريتها وتقدمها وتحررها من رق التبعية والاستعمار والاستغلال الذى فرض على هـــذه الشعوب من قبل الدول الاستعمارية والأمبريالية العالمية المعادية لتقدم الشعوب وحريتها ، وهى نفس المفاهيم والمنطلقات أيضا التى أعتمدت عليها كل الشعوب والمجتمعات الإشتراكية والمحبة للسلام فى بناء تقدمها الحديث عن طريق الاعتماد على النفس وعلى أسس من العدالة الاجتماعية والمساواة وتكافوء الفرص ومنع إستغلال الإنسان لأخية الإنسان ، وكذلك تمكنت بفضل مثل تلك المفاهيم والمنطلقات الإنسانية من القضاء على ما كانت تعانيه من التخلف والبؤس والتبعية والاستعمار والاستغلال الإقتصادى والذى تعانى منه اليوم كل الشعوب النامية والمتخلفة ونحن جزء منها ، من قبل الدول الأمبريالية والرأسمالية التى تحكم اليوم العالم بواسطة إحتكاراتها الإقتصادية ومؤامراتها السياسية والعسكرية بصوة مباشرة

وغير مباشرة . ونحن لا ندعو إلى أن نكون صورة طبق الأصل من هذا المعسكر أو ذلك لأنه إلى جانب كون هذه الفكرة فكرة خاطئة من أساسها فإن لكل مجتمع وأمة من الأمم خصوصياتها وأوضاعها الإجتماعية والاقتصادية والتاريخية الخاصة ، ولها طريقتها فى معالجة قضاياها وصولا إلى تحقيق الأهداف الإنسانية العادلة فى التقدم والازدهار والتحرر الشامل ، والتى لا تختلف من مجتمع لأخر ، كما أن الفكر الإنسانى المفيد للإنسان وتقدمة لا يتجزء سواء كان ماضيا أو حاضرا ، وسواء كان من صنع شعب أو أمة أوعدة شعوب أو أمم ، فمن حق كل شعب متحضر أن يستفيد من تجارب الشعوب الاخرى ويأخذ منها ما يفيده ويتناسب مع ظروفه وبناء حاضرة ومستقبلة الجديد ، ونحن فى هذه الحالة ومن خلال بعث تلك الصورة المشرقة لتاريخنا وتراثنا وعاداتنا وتقاليدنا وأعرافنا الحسنة ، والاستفادة منها فى مواجهة ظروف التخلف فى بلادنانستطيع أن نعطى الأخرين مايفيد حاضرهم بقدرما سنأخذ منهم . ولذلك فإنه لابد وأن نتنبه إلى كل الدعايات والاشاعات المغرضة التى تروجها القوى الاستعمارية والأمبريالية العالمية وعملائها الرجعيين والتى تعمل على تشويه كل المبادىء والأفكار الإنسانية النافعة حرصا على مصالحهم المرتبطة باستمرار تخلفنا .

٣ — إن شعبنا اليمنى بالرغم من كل المحن وفترات الركود وبرغم كل المحاولات المعادية التى تعرض لها عبر تاريخة والتى حاولت وتحاول أن تفصل بين حاضره وماضية وتلبسه ثوبا غير ثوبه ، وتنال من حريته وكرامته وكبريائة قد أكد قدرته الفائقة لا على مجرد الاحتفاظ بكل تلك المعانى الإنسانية والحضارية المشرقة فى أعماق نفسه ووجدانه فقط ، ولكنه اليوم يدلل عليها من خلال سلوكه وممارساته العملية ، ومن خلال كل الفرص التى تتاح له لمواجهة مشاكل تخلفة المزمن والعمل على تجاوز هذا التخلف .

ولقد كانت ولاتزال ثورة شعبنا فى الشطر الجنوبى من الوطن ضد الاستعمار وعملائة وضد كل أوضاعه المتخلفة وأقدامة على أنجاز وتنفيذ أشجع تجربة إشتراكية علمية معاصرة فى البلاد النامية بعد كوبا والفيتنام بنجاح

ساحق إنطلاقا من مجموع خصوصياته الذاتية والموضوعية ، ومكونات وجوده الثقافية والأحتماعية والتاريخية المتميزة ،يقدم أعظم دليل مادى وعملى على حقيقة وصدق تلك الابعاد التاريخية والحضارية الناضجة والتى فجر شعبنا من خلالها كل تلك المعانى والأصول الديمقراطية والتعاونية وحب العمل الجماعى ، والإيمان المطلق بالمصلحة العامة والحق العام والعمل الجاد ، والاعتماد على النفس وأن فى مقدور هذا الشعب الذى صنع ماضيه أن يصنع حاضره ومستقبلة ، إذا ما توفرت له الظروف المناسبة والملائمة على المستوى السياسى والاجتماعى المناسب .

كما أن ما تشهدة ساحة الوطن اليمنى ككل فى الأونة الأخيرة من تطورات سياسية واجتماعية وشعبية بعيدة الدلالة على المستوى السياسى والاجتماعى وصولا إلى تحقيق يمن حر وديمقراطى وتقدمى موحد يعطى الدليل الأخر الأكثر أهمية وحيوية فى حاضر ومستقبل هذا الشعب ، والذى يتوجب على كل المناضلين التقدميين المخلصين أن يقدموا التضحية والعطاء غير المحدود فى قيادة جماهير الشعب فى طموحاتها ونضالهـــا فى سبيل تحقيق كل ذلك فى المستقبل القريب ، وصولا إلى تحقيق طموحات ونضالات جماهير أمتنا العربية كلها فى الوحدة والتحرر الاقتصادى والاجتماعى الذى تعارضه القوى الاستعمارية والامبريالية العالمية فى الخارج والطبقات الاقطاعية والبرجوازية الطفيلية المتحالفة معها فى الداخل .

أهم مراجع البحث حسب ترتيب الاشارة إليها فى الهوامش

— د . محمد عمارة : الخلافة ونشأة الأحزب السياسية ، المؤسسه العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٧ .

— حمود العودى : التراث الشعبى وعلاقته بالتنمية فى البلاد النامية ، دراسة تطبيقية عن المجتمع اليمن ، مركز الدراسات اليمنية صغاء ، الطبعة الأولى ١٩٨٠ :

— بندلى جوزى : تاريخ الحركات الفكرية فى الإسلام ، دار الروائع بيروت ، (غير محدد تاريخ النشر أو المترجم وهو كتاب حديث عموما) :

— شوقى عبد الحكيم : أساطير وفولكلور العالم العربى ، الجزء الأول ، طبع مؤسسه روز اليوسف نوفمبر ١٩٧٤ .

— د . محمد الجوهرى : علم الاجتماع وقضايا التنمية فى العالم الثالث ، دار المعارف المصرية الطبعة الأولى ١٩٧٨ .

— محمد أنعم غالب : نظام الحكم والتخلف الأقتصادى فى اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٦٢ .

— د نزار عبد اللطيف الحديثى : أهل اليمن فى صدر الإسلام ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، (الكتاب حديث ولكنه لم يحدد تاريخ نشره)

— سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة ، ترجمة زينب الكردى ، مراجعة الدكتور أحمد بدوى ، الهئية المصرية العامة للكتاب ، ١٩٧٥ :

— د . نيكلوسى وآخرون : التاريخ العربى القديم ، ترجمة وتحقيق الدكتور حسين هيكل .

— د . جواد على : المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام .

— حمود العودى : المثقفون فى البلاد النامية ، بحث فى الفئات والعلاقات الطبقية ، مع دراسة إجتماعية تطبيقيه عن المجتمع اليمنى ، عالم الكتب القاهرة ، ١٩٨٠ .

— رود ولفو إستافنهاغن : الطبقات الاجتماعية فى المجتمعات الزراعيه نقله إلى العربية ناجى أبو خليل ، دار الحقيقة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٧ .

— د . يوسف محمد عبدالله : مقال بعنوان عما تتحدث النقوش اليمنية ، فى مجلة اليمن الجديد ، عدد مارس ١٩٨٠ وما بعده (عده حلقات) .

— محمد يحى الحداد : تاريخ اليمن السياسى ، عالم الكتب القاهرة ، الطبعة الثالثه ١٩٧٦ .

— سلطان أحمد عمر : نظرة فى تطور المجتمع اليمنى ، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت الطبعة الأولى ١٩٧٠ .

— د . ديتلف نلسون وأخرون : التاريخ العربى القديم .

— حمود العودى : المنظور العلمى للثقافة ، دراسة خاصة عن المجتمع اليمنى ، طبعة القاهرة ١٩٧٣ .

— د . جميل صليبا : تاريخ الفلسفة العربية ، دار الكتاب اللبنانى بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ .

— رينييه ديمون ومارسيل مزواييه : التجارب الاشتراكيه أمام مشاكل التنمية ، نقله إلى العربيه رشيد حسن وحسن قبيسى دار الحقيقة بيروت .

— مطهر لإريانى : فى تاريخ اليمن ، شرح وتعليق على نقوش لم تنشر ، مركز الدراسات اليمنية صغاء ، ١٩٧٣ .

— محمد على الاكوع : اليمن الخضراء مهد الحضارات ، مطبعة السعادة القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٧١ .

— إفلاطون : جمهورية إفلاطون ، نقله إلى العربية حنا خباز ، دار القلم بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٦٩ .

— د . عبد السلام نور الدين : المتنبي وسقوط الحضارة ، مقال فى مجلة اليمن الجديد عدد فبراير ١٩٧٨ .

— محمود كامل المحامى : اليمن شماله وجنوبه تاريخه وعلاقاته الدولية ، دار بيروت للطباعة والنشر ، ١٩٦٨ .

— د . فاروق عثمان إباظة : مقال فى مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية عدد أكتوبر ١٩٧٨ .

— محمد على الاكوع : الوثائق السياسية اليمنية من قبل الإسلام إلى ٣٣٢ هجريه ، دار الحرية للطباعة بغداد الطبعة الأولى ١٩٧٦ .

— عبد الرحمن بن على الديبع الشيبانى الزبيددى المتوفى عام ٩٤٤ هجرية : قرة العيون باخبار اليمن الميمون ، تحقيق القاضى محمد بن على الاكوع الحوالى ، مطبعة السعاده بمصر ، ١٩٧٧ .

— زيد الوزير : محاولة لفهم المشكلة اليمنية ، الشركة المتحدة للتوزيع بيروت ١٩٧١ .

— عبد الله بن أحمد الثور : ثورة اليمن ، طبعة القاهرة ١٩٦٨ .

— أحمد عباس صالح : اليمين واليسار فى الإسلام ، المؤسسه العربية للدراسات والنشر بيروت ، ١٩٧٢ .

— د . ادونيس : الثابت والمتحول ، بحث فى الأبداع والأتباع عند العرب ، الجزء الثانى الطبعة الأولى دار العودة بيروت ، ١٩٧٧ .

— د . محمود إسماعيل : الحركات السرية فى الإسلام ، مؤسسه روز اليوسف القاهرة مايو ١٩٧٣ .

— د . أحمد الخشاب : التفكير الأجتماعى ، دراسة تكاملية للنظرية الاجتماعية دار المعارف بمصر ١٩٧٠ .

— د . محمود إسماعيل : الخوارج فى المغرب الإسلامى ، دار العودة بيروت ، ١٩٧٦ .

— د . ادوينس : الثابت والمتحول ، بحث فى لإبداع والأتباع عند العرب ، الجزء الأول ، دار العودة بيروت ١٩٧٤ .

— د . محمد عمارة : المعتزلة ومشكلة الحرية الإنسانية ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .

— الحمادى : القرامطة (وهو من فقهاء اليمن فى القرن الخامس الهجرى وهو من أهل السنة والحديث تحدث بتعصب عن القرامطة والأسماعيلية فى اليمن والبحرين ، والكتاب فى مكتبة دار الكتب بصغاء .

— د . محمود قاسم : محى الدين بن عربى ، مكتبة القاهرة الحديثه ، الطبعة الأولى ١٩٧٢ .

— محمود العودى : الاتجاه الواقعى فى نظرية المعرفة ، مقال فى مجلة الغد اليمنية ، عدد أغسطسى ١٩٧٧ .

— د . حسن الساعاتى : علم الاجتماع الخلدونى ، دار المعارف بمصر ، الطبعة الثانيه ١٩٧٥ .

— د . محمد الجوهرى : علم الفولكلور ، دراسة فى الانثروبولوجيا الثقافيه ، دار المعارف الطبعة الثانيه ١٩٧٧ .

— د . مصطفى الخشاب : علم الاجتماع ومدارسة ، الجزء الأول ، دار المعارف بمصر ، ١٩٦٥ .

— د . على سعد : ابن طفيل فى ميزان العلم ، مقال فى مجلة المعارف اللبنانيه عدد كانون ثانى ١٩٦٢ .

— عبد الرحمن بن خلدون : مقدمة ابن خلدون ، طبعة دار الشعب الحديثه .

— د . محمد الجوهرى وأخرون : دراسات فى التنمية الاجتماعيه ، دار المعارف بمصر طبعة ١٩٧٤ .

— د . دور سون : نظريات الفولكور المعاصر ، ترجمة الدكتور محمد الجوهرى والدكتور حسن الشامى ، دار الكتب الجامعية القاهرة ١٩٧٣ .